شاعر الاسلام محمد عاكف

للدكتور عبد الوهاب عزام

تمـــة

عرف قراء الرسالة الموضوعات التى عالجها الشاعر الكبير فى ديوانه « الصفحات » كما عرفوا من قبل مثلا من شعره . واليوم أقدم لهم مثالا من شعره الاجتماعى الذى يصور فيه الواقعات الصغيرة والحادثات الجارية التى لا يأبه لها الناس كثيرا ، وهى قطعة من الجزء الأول من الصفحات .

وينبغى أن يذكر القارىء ما ينال الشعر حين يترجم منثورا فيفقد كثيرا من روعته ، ولا سيما نظم عاكف الذى يذهب مثلا فى انسجامه وقدرته على تذليل كل موضوع أبى وكل معنى شامس .

كان أنصاره وخصومه مجمعين على أنه أوتى فى النظم قدرة تأبى على المحاكاة . وكان دعاة الأوزان التركية وأعداء العروض العربى يقولون لا يهزم هذا العروض حتى يقتل محمد عاكف فهو حجة دامغة تفحم كل معارض . وما ظنك برجل يصف مصارعة فينطق الشعر بحركات المصارعين وأقوالهم فى بيان سلس ونظام لاشية فيه من التكلف

السفط

قبل خمسة عشر يوما غدوت على عادتى من دارى مبكراً ومحلتنا فى أطراف استانبول فليس يستطيع السير فى أزقتها إلا من يحسن السباحة ، ما تزال تعترض سبيله بحيرة ماثجة بعد أخرى . فاذا أظلم الليل فليس إلا الصبر على اللأواء ، واحتمال ما يرمى به القضاء . لا بد من قنديل فى إحدى اليدين واسقنديل فى الأخرى . هذه سبيل النجاة لا سبيل سواها

وكانت فى يدى هراوة أتحسس بها الطريق إن أصابت جزيرة وقفت ، وإن لقيت بحراً وثبت .

ويأوى دليلى الأمين إلى أطناف الدور العتيقة المتداعية ويلوذ بجدرانها فيصدم شيئاً ضخما . نظرت فاذا سفط كبير قديم . قلت سفط حمال . لمن هذا ليت شعرى ؟ و يقبل غلام فى الثالثة عشرة عامداً إلى السفط بعصا غليظة ، فما زال يرفع عصاه جاهداً ويهوى بها حرداً حتى تدحرج السفط خائراً منهوكا

— « قد مات أبى تحتك وأنت لا تزال فى وسط الزقاق جاثماً متعجرفاً » ! ! وبرزت من دار أمامنا امرأة تصف :

— ويلك يابنىّ اهلمّ إلىّ ، كفّ . إياك أن تحطمه . مالك وللسفط يابنى ؟ إنه أخرس لا فم له ولا لسان . لقد ارتفق به أبوك سنين ثمانيا ، وكان يقول إنه سفط مبارك ، قلما بقيت تحته بغير حمل . وقد ذهب أبوك فهو اليوم كاليتيم . وستعول به أمك وأخاك . أطفل أنت ؟ ألا تعرف ما عليك ؟

قلت : — استمع يابنى إلى أمك

فصاح الصبى متجهماً : —

« ياذا اللحية ألا عمل لك ؟ اذهب من هنا إلى جهنم . اذهب

إلى جميع هؤلاء المخادعين وإلى جميع هؤلاء المجانين ليقول لهم إنهم لا يعرفون عن الفضيلة شيئاً وان ليس فى وسعهم أن يعرفوها .

ما أتى زارا إلا ليشعركم بأنكم تعبتم من تكرار الأقوال القديمة التى علمكم إياها المخادعون والمجانين ، فينفركم من كلمات المكافأة والمقابلة بالمثل والعقاب والانتقام فى العدل ولتقلعوا عن القول بصلاح الأعمال عند تجردها عن الغايات

لتكن ذاتكم متجلية فى عملكم كما تتجلى الأم فى طفلها وليكن هذا التعبير ما تعرفون الفضيلة به .

والحق ، أنى انتزعت منكم كثيراً من أقوالكم وسلبتكم أعز ما تتلهون بمضغه عن الفضيلة ، ولذلك أراكم تزورون كالأطفال . وقد كنتم مثلهم تتسلون بألعابكم على الشاطئ فطغت موجة انتزعتها من بين أيديكم وحملتها إلى العباب ، فها أنتم تعولون الآن كهؤلاء الأطفال ، غير أن الأمواج ستكر راجعة حاملة اليهم العاباً جديدة ناثرة بين أيديهم الأصداف المخططة ، وأنتم أيضاً أيها الصحاب ستتسلون مثلهم حين تأتيكم التعزية ناثرة بين أيديكم الأصداف المخططة .

هكذا تكلم زارا . . .

ما وقوفك هنا هاذيا فى هذه الغداة ؟ ان قلبي يشتعل . قد ذهب أب لى كالجبل

— ماذا تبغى الآن من رجل فى مقام أبيك ؟ اسمع يابنى . .

— دعيه ياسيدتى إنه طفل ، أنا لا أبالى ما يقول .

— ما اسمك يابنى ؟

— حسن

— اصغ ياحسن . إنك ستضير نفسك بهذه الحدة . لقد احترق قلبي يابنى حين عرف مصيبتك ، ولكن أباك قد أوصى إليك وذهب . فانظر كيف جاهد هذه السنين الطوال ورباك بعرق جبينه ! وكذلك عليك ألا تترك أخاك يتيما . عليك أن تربيه .

— بالسفط ؟ أكذلك ؟

— نعم نعم . ماهذا الكلام يابنى ؟ أعار أن تعمل ؟ ثم أن تحمل الأعباء ؟ إنما العار الاستجداء ، إنما العار أن تسأل الناس ولك يد ورجل

— ما أصدق ما قال عمك ياولدى . قبل يابنى يد عمك .

— أنسيت سريعاً ماقالته امرأة جارنا ؟ ألم تقل : «ياحسن خالى ضابط فى إحدى المدارس . ولو كلمناه مرة لأخذك إلى المدرسة . انتظر ساكلمه »

فلا تعلمينى أنت واجعلينى فى هذه السن حمّالا ! !

* * *

عرفت أن الحديث طويل وأنه سيزداد طولا وكانت مشاغلى كثيرة ذلك اليوم فتركتهما .

ليت شعرى ماخطب حسن المسكين اليوم ؟

لى بنية عرمة لاتستقر فى الدار . خرجت بها إلى الفانح ، بعد العصر بقليل . فبينا ندخل من باب الفحامين راق البنية منظر الجمل ، تعجب من هذا البدن المعوج ، وذلك العنق المفرط فى الطول . وهذه الأرجل ، وهذا الذيل المعلق من خلفه — هذا الذيل أليس هذا كله عجيبا ؟

التفت ورائى فاذا على خطوات منا شيخ ربعة ، وضاء الوجه مشرق السيما . قد لف على وسطه شالا ، وعلى رأسه يابانية . وبجانبه صبي ينوء تحت سفط كبير . أقبلا يمشيان الهوينى . فوا عجبا ! هذا هو الصبي الذى رأيته ذلك الصباح . .

أى مرأى ! مرأى يذيب القلب ويذهب باللب : رجلان هزيلتان عاريتان إلى الركبتين ، وبدن يرعد تحت ثوب رقيق يكاد يتجمد من البرد . وقدم حافية ، ورأس حاسر . لم تكن نفسا هذه الملهثات ولكن أنينا مديدا ، ولم تكن نظرا هذه اللمحات ولكن بكاء شديدا . يالله بؤسا حافيا حاسرا . وإنه لحسرة ذلك الجبين المجعد فى الثالثة عشرة .

* * *

ويخرج من المدرسة الرشدية أفواج من الطلبة قد انتظموا صفوفا . وساروا قليلا ثم وقفوا . ما أقسى هذا المنظر على قلب حسن التعيس ! أجل غلمان تفيض منهم نغمات النعمة والشباب يطير كل منهم إلى عشه السعيد . وسيفرغون للعب عما قليل . هؤلاء سعداء ، وأما حسن فسيحمل أبدا على كتف الفاقة هذا السفط المشئوم الذى ورثه عن أبيه — السفط الذى أراد أن يحطمه حين يصر به فى طريقه .

ليس هذا حملا ولكنه عقاب القدر لهذا البرئ

واحسرتاه ، ما ذنبه ، ماذنب هذا المعاقب الذى لا يدرى ما ذنبه ؟

عبد الوهاب عزام

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أعادت اللجنة طبع الجزء الأول من كتاب

أصول التربية

للأستاذ أمين مرسى قنديل

وكيل معهد التربية

للمرة الرابعة

وهذه الطبعة مزيدة وموسعة

وعدد صفحات الجزء المذكور ٣٧٦

وثمنه عشرون قرشا عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بدارها رقم ٩ شارع الكرداسى بعابدين بالقاهرة ومن المكاتب الشهيرة